# خواطر من القلب (إلى رضوان الإنسان) و شذرات من الفكر (إلى رضوان الأديب)

أ.د. عوني أحمد محمد

جامعة تيارت

## خواطر من القلب ( رضوان الإنسان):

من السهل على المرء أن يتناول فكرة معينة تدور حول أمر ما، أو إنسان بعينه في حسن التعبير عنها بقدر قناعته بمضمونها وبمقدار قدرته على توظيف اللغة وصياغة العبارة، إلا أن المرء مهما أوتي من فصاحة القول وسحر البيان وصوغ العبارة ليعجز أن يغوص في أعماق النفس البشرية لشخصية عزيزة على النفس، تمثل مكانة تسكن جوانحه، **فأنى له أن يلم بمآثر وشمائل هذا العلَم البارع في ساحته، والفارس المقدام في ميدانه, والبحر المتسع في شواطئه، إنه أستاذ الجيل بل الأجيال أستاذنا الدكتور/ (أبو محمد) رضوان محمد حسين النجار**، تلك الشخصية التي جمعت بين صفات، إنْ شئنا أن نقول إنها متحالفة متنوعة متشعبة، فهو يجمع بين الانضباط والالتزام بالمبدأ الذي لا يحيد عنه،

والصرامة والدقة، وبين رقة القلب وفيض المشاعر ورهافة الحس، يضاف إلى ذلك غيرته الشديدة على لغة الضاد وتراث علمائها، يذود عنها ويحارب من أجلها، فهو عنيف إلى درجة القسوة إذا ما عرض لها ما يخل ببنائها، ورقيق هادئ غارق في بحر الرومانسية في علاقاته الإنسانية ، مرح ودود صاحب طرفة ودعابة فطرية تأسر السامعين, وتضفي على جلسائه سمة المرح والبهجة.

**أستاذي الكريم عرفته عن كثب بدء من رحلتي مع الماجستير** سنة 1992، حيث كان لي شرف التتلمذ على يديه، ضمن كوكبة من العلماء أساتذة معهد اللغة والأدب العربي جامعة تلمسان آنذاك، وأذكر له خلال تلك المرحلة الكثير من المواقف التي تؤكد ما ذهبت إليه آنفا.

**تراه وهو يقرأ على مسامعنا قصيدة :بانت سعاد لكعب بن زهير، وكأنك تستمع إلى أزيز الرياح في روعة إلقائه، وصوته الجهور، وإيقاعه المنتظم، والتزامه لمخارج الحروف، ثم يخبو فيعود إلى الرقة في هدوء وسكينة وانسياب في موقف آخر فكأنه النسيم أو ريح الصبا، أو قيثارة عازف متميز.**

تراه ثائرا عنيفا جسورا غاضبا عندما يترامى إلى سمعه الخلط بين الشعر العربي الفصيح، وبين ما يسمونه شعر التفعيلة أو الشعر الحر أو قصيدة النثر، ولك أن تسمع منه حينئذ ما ينبئ عن استهجانه وسخريته ممن يلوك هذه المصطلحات، وهو بذات الثورة في غيرته على وطنه الكبير بما يضم من مقومات

وقيم وفضائل وما يجسده تراثه العربي الإسلامي من كنوز، وما يمثله وطنه الجريح، بل وطننا جميعا فلسطين، من أنات وآهات ألم وأمل، وتطلعات إلى غد مشرق.

**من المواقف المشهودة التي جمعتني بشيخي الفاضل الأستاذ الدكتور/ رضوان محمد حسين النجار، أنني أثناء دراستي للمرحلة التمهيدية من الماجستير**، كنت ألتزم بالحضور أسبوعيا من تيهرت ـــ كما يحب أن يذكرها أستاذي بهذا الاسم ـــ إلى معهد اللغة والأدب العربي بتلمسان، وكنت أحرص شأن كل زملائي على الالتزام بالحضور وعدم التغيب وبخاصة في محاضرة الأستاذ الدكتور رضوان بالذات، ونتحاشى حتى مجرد التأخر عن الحصة ، كذلك من المستحيلات أو من المحرمات أن تدخل القاعة بعد دخوله، بعذر أو بغيره، فتتردد ألف مرة لمجرد التفكير بالاستئذان في الدخول ، وفي أحد الأسابيع وأثناء إحدى الرحلات الأسبوعية من تيهرت إلى تلمسان أصاب السيارة عطل في مكبحيها (القدم واليد) للأسف، وانتابتني الحيرة والقلق بين المغامرة بالحياة واستكمال الرحلة، أو العودة دون مواصلة المسيرة، وما يترتب على ذلك من غياب، وأنّى لك أن تعتذر عن الغياب لدى الأستاذ (الدكتور رضوان، أبومحمد)، حتى وإن كان السبب أن تسافر بسيارة بلا مكابح ؟؟!!

وكانت المغامرة من مدينة سيق إلى تلمسان بدون مكابح للسيارة، ـــ إنه الجنون بعينه ـــ وصلت تلمسان بعد مخاطرة جنونية، ودخلت إلى القاعة

متأخرا عشر دقائق، حيث شرع الأستاذ في الدرس، وأنا أتوقع المواجهة، ونظر إليَّ الأستاذُ بنظرة جادة حادة، وقبل أن يبدأ الحديث بادرته بالاعتذار عن التأخير، بأنني قطعت الرحلة وأنا أحمل نعشي على كتفي بهذه المغامرة !!! حرصا على عدم تلقي اللوم والتعنيف بالغياب عن المحاضرة.

**وهنا بدا الوجه الحقيقي الفطري للأستاذ الدكتور/ رضوان محمد حسين النجار، وجه الإنسان الطيب الوديع المتسامح، مرهف الحس رقيق المشاعر، تدحرجت دمعتان عفويتان من مقلتيه وهو يكاد ينفطر،من ألم الضمير، وتحولت ثورة الغضب إلى ثورة حنان أبوي أخوي يعتب ويعاتب، معترضا بشدةوبعنف على هذه المغامرة الجريئة المهلكة، وكأن قدري مع أستاذي أن أتلقى منه التعنيف الغاضب والتعنيف المشفق الحنون الرقيق في موقف واحد، حقا إنه رضوان الإنسان.**

**صاحبتني سيرة أستاذي الفاضل فتشرفت برئاسته للجنة مناقشة الماجستير الخاصة بي،** وأحفظ له مقولة يومها، وكنت قد أسهبت وتجاوزت الوقت المخصص لي لتقديم خطبة الرسالة، وقد حالفني التوفيق في مضمونها وصياغتها، فإذا به وهو رئيس الجلسة يثلج صدري ويفيض في منحي الثقة بالنفس في بدء المناقشة بقوله: أشكر الطالب الباحث على خطبته التي قدم بها رسالة الماجستير، وإن كان قد تجاوز الوقت المخصص له، إلا أنه أجاد فيها فتجاوزت عن الملاحظة، ثم أردف بقوله (ولتسمح لي اللجنة الموقرة بأن أقول

لو لم يكن للطالب في بحثه إلا خطبته للرسالة لأجزته عنها بدرجة الماجستير) !!!

وكم هي إطلالة رائعة تملأ بالثقة في مطلع المناقشة، ذلك هو الأستاذ المربي والقدوة الحسنة الذي عرف عنه الانضباط والالتزام في الجلسات العلمية والتوجيهات السديدة والقيادة الحكيمة للجان المناقشات.

**شذرات من الفكر ( رضوان الأديب)**

**و لن نستطيع أن نغادر ما نحن بصدده في هذه المناسبة المتميزة لتكريم عَلَمٍ من أعلام الفكر والأدب واللغة والبيان، تتويجا لرحلة طويلة ومسيرة ناصعة بين ثنايا الدرس الأدبي واللغوي**، تلك المسيرة التي تقودنا إلى نماذج لبعضٍ من انتاجه الفكري والأدبي وهو يتجول بين ثنايا فروع اللغة ومباحثها ، فينال علم الخليل في ميدان العروض حظا وافرا من اهتمامه، وانتاجه الفكري فهو يصون التراث ويعتز به ويغار عليه ويحيي ما اندرس منه، متجسدا في جوهرته أو كما قال عنها: **الجواهر في البحور والدوائر**، وكانت صنعته الطبعة الأولى في عام 1421 هـ / الموافق لـ سنة 2000 م، وينسب لنفسه حق مصطلح **الصنعة**، معرضا عن مصطلح **التأليف**، وقد ضمن جوهرته هاته، سباحة واسعة في بحور الخليل، دارسا ومحيطا بالدوائر الخليلية، في بيان ناصع وحجة بالغة قوية وتبسيط لكل دارس ، دون أن يغفل الشواهد وشرحها ومواضع الاستدلال بها، بلغة رصينة سلسة لا تقعيد فيها ولا معاظلة، فهو البحر الفياض والنهر المتدفق في سلاسة ويسر وحسن بيان.

و هو الإنسان الحريص على دينه الغيور على إسلامه ورجالاته الغرِّ الميامين، يأسره عشقه المتيم بالصحابة رضوان الله عليهم، فيهيم **إعجابا بالصحابي الشاعر: حميد بن ثور الهلالي**، حياته وشعره، مبينا من خلال صنعته عن بيئته وعصره والحياة الفكرية لهذه الحقبة الزمنية، ثم بيان نسبه ونشأته وحياته ، ومصادر وينابيع شاعريته، ثم يثني بالحديث المستفيض عن ديوانه وأغراضه الشعرية وخصائص شعره، ويختم حديثه عنه بمنزلته ومكانته بين طبقات الشعراء، يصوغ ذلك كله بلغته المعهودة بالدقة والفصاحة والإبداع وسلامة التعبير، محتسبا جهده هذا في حب آل البيت والذّودِ عن تراث اللغة ورجالاتها، كانت صنعة هذا الأثر بالقاهرة عام 1398 هـ الموافق لعام 1978 م وكانت طباعته الأولى سنة 1405هـ الموافقة لسنة 1985 م .

ثم أجاد وأبدع في : **الوجيز الوافي في علمي العروض والقوافي**، الذي افتتحه بخير الافتتاح من كتاب الله عز وجل،أتبعه بثنائه على المصطفى صلى الله عليه وعلى أصحابه والتابعين إلى يوم الدين بنفحات نبوية، ثم يثني فيشير إلى أسس علم العروض والقوافي، وفي إبداعات لغوية وصياغة فنية رائعة يسبغ عليها تسمية:**عيون الموارد و غرر المصادر**، وله في ذلك قصب السبق وبراءة الاختراع، والنهج نفسه في الحديث عن **ينابيع العروض، وكأنه يحرص على أن يلبس مصطلحات العروض حلة قشيبة ذات رونق وصفاء، ولا تنفك عن عمق الدلالة وروعة الإيحاء.**

و هو حريص دائما على أن يضمن **مؤلفه أسس الدراسة الخليلية لعلم العروض بين الدوائر والزحافات والعلل، وما تحمله حروف القافية من دلالات**، مع بيان لنماذج من كل بحر، وشواهد لكل باب مع الشرح والبيان وحسن الاستدلال. كان انجاز هذ العمل العلمي الموجز كاسمه والوافي كمضمونه في طبعته الأولى في عام 1425 هـ / 2004 م بتلمسان.

**ولا ينفك يربط بين العروض والقوافي في قالب رصين** وحلة قشيبة يصاغ في رحابها منتوج الأدباء وفيض خواطرهم، فكان له مع **الأدب الجاهلي وأدب صدر الإسلام** إطلالة رائعة من خلال صنعته: دراسات في الأدب الجاهلي وصدر الإسلام قضايا وظواهر

**تلك الصناعة التي استهلها كدأبه بالبسملة ونور من كتاب الله، مثنيا بضياء من هدي النبوة، ثم الدعاء بالإثابة، في مقدمة الصنعة**، وفي متنها تناول تحت عنوان البدايات والنهايات أعلام العرب القدماء ونوادر اللغة، وأبان في هذه الدراسة عن موقف المستشرقين وله في شأنهم رأي يعتد به وموقف يشهد له، ومنهم: كارلو نالينو، وبلاشيـــر، ثم هيوارت دن ، وبعدها تناول الحديث عن العلماء العرب المحدثين: ومنهم الرافعي وجرجي زيدان وطه حسين في دراسة ناقدة وفكر صائب، ليكون الدراسة الثانية حول الحضارة العربية وفي الدراسة الثالثة البردة يكون المنهج والعمل والحديث المستفيض حول سيمائية اللفظ والمعنى، ومنه نهلت إحدى طالباته في أطروحة الدكتوراه .

و تحت إشرافه في ذات الموضوع، ويأخذنا عالمنا الجليل في دراساته في الأدب الجاهلي وأدب صدر الإسلام في قضايا أدب الأطفال وترقيصهم، بذكر نماذج من هذا الأدب، وأدب القبائل العربية، ليختم دراسته بمواردها ومصادرها في رحلة أدبية وقراءة لدى أعلامها.

**أخذني أستاذي من فراش المرض ومعاناة القلب العليل، فاستشفيت بمجالسة فكره وتعزيت عن آلامي بواسع صدره وينبوع صبره، فتناسيت ما أنا به، واستحضرت كريم جلساته، وعذب حديثه وحسن طرائفه،** وإن اعتذرت عن الإفاضة لظروفي الصحية واكتفيت بجهد المقل ، وليس ذلك من نضوب النبع فهو دفق متدفق وممتد تتسع شواطئه، وعميق بعيد الغور، صاف عذب المذاق تَرده فتصدر عنه وأنت إليه أشد ظمأ.

**إنها خواطر من قلب محب لشيخه وأستاذه، و إنها شذرات من فكر تلميذ لأستاذه، أهديها إليه في يوم تكريمه، متمنيا له كل التوفيق والسداد في كل خطواته متمتعا بالصحة الوافرة والسعادة التامة له ولكلّ من تتحف به عائلته الفاضلة وصحبته الكريمة، ودعاؤنا ضارعين إلى المولى عز وجل أن يجمعنا دائما على الهدى والإخلاص وصفاء السريرة وحسن اللقاء.**